أبيه في غضون ذلك من يخبره أنه صار يتوعد أباه بالقتل، وأنه يتمنَّى موته لكونه يحبُّ بعض حظاياه ولا يتمكَّن منها إلَّا خفيةً، وبرهن على ذلك بأماراتٍ وعلاماتٍ، وأنه صمَّم على قتله بالسم أو غيره إن لم يمت عاجلاً من المرض؛ مع ما في نفسه من محبة الاستبداد. وأنه يعد الأمراء بمواعيد. فحينئذٍ أذن السلطان لبعض خواصه أن يعطيه ما يكون سبباً لقتله من غير إسراع. فدسُّوا إليه من سقاه من الماء الذي يُطْفَى فيه الحديد، فلما شربه أحس بالمغص في جوفه فعالجه الأطباء مدةً، وندم السلطان على ما فرَّط منه، وأمر الأطباء بالاجتهاد في علاجه، فلازموه نصف شهر إلى أن تراجعت إليه بعض الصحة، وركب في محفَّةٍ وكاد أن يتعافى، فدسُّوا عليه من سقاه ثانياً من غير علم أبيه فانتكس واستمر إلى خامس عشر جمادى الأولى. ونزل أبوه لعيادته، ثم مات في التاريخ المتقدم. واشتد جزع أبيه عليه إلّا أنه تجلَّد وأسف الناس كافةً على فقده، وشاع بينهم أن أباه سمَّه، إلَّا أنهم لا يستطيعون التصريح بذلك. قال السخاوي: ولم يعش أبوه بعده سوى ستة أشهر وأياماً، كدأب من قتل أباه أو ابنه على الملك، فتلك عادةٌ مستقرة، وطريقة مستقرأة، وكذا قال ابن حجر. وصار الذين حسَّنوا له ذلك الفعل يبالغون في ذكر معايبه وينسبونه إلى الإسراف على نفسه والتبذير والمجاهرة بالفسق من اللواط والزنا والخمر والتعرض لحرم أبيه وغير ذلك مما كان براء عن أكثره، وعند اللَّه يجتمع الخصوم. وخطب ابن خطيب الناصرية يوم موته وهو يوم الجمعة خطبةً حسنةً سبك فيها قوله ﷺ: «**تدمع العين ويحزن القلب، ولا نقول ما يسخط الرب، وإنّا عليك يا إبراهيم لمحزونون**» فأبكى السلطان ومن حضر. وبعد موته وقع الخلل في دولة والده السلطان، ومات الساعون في هلاك ولده واحداً بعد واحد، ولم يستكمل بعده ابن البارزي أربعة أشهر.

٩

(الشيخ إبراهيم بن صَالح الهِنْديّ ثم الصَّنعانيّ الشاعر المشهور)[١]

كان أشعر أهل عصره غير مدافع، وله ديوان شعر في مجلد ضخم، رأيته في أيام قديمة فوجدت فيه ما هو في الطبقة العليا والمتوسطة والسافلة، ولكن الجيد أغلب. وكان يتشبه في مدحه وحماسته بأبي الطيب. ومن فائق مقطعاته قوله: [من الوافر]

أُشَبِّهُ ثَغْرَهُ والقَاتُ فِيهِ ... وَقَدْ لَانَتْ لِرِقَّتِهِ القُلُوبُ[٢]

(١) ترجمته في: الأعلام: ١/ ٤٣؛ معجم المؤلفين: ١/ ٤٠؛ إيضاح المكنون: ١/ ٥٣٩؛ هدية العارفين: ١/ ٣٤؛ وفيه: توفي سنة ١٠٩٩هـ.

(٢) القَاتُ: نبات تُمضغ أوراقه خضراء، قليلُه مُنبِّهٌ، وكثيرُه مُخدِّرٌ.

لَآلِـيَ قَـدْ نَـبَـتْـنَ عـلـى عَـقـيـقٍ وَبَـيْـنَـهُـمـا زُمـرُّدةٌ تَـذُوبُ

ومن مقطعاته في مليح يسبح في ماء: [من السريع]

وأبـيـضَ عَـايـنْـتُـهُ سَـابِـحـاً فـي لُـجَّـةٍ لِـلـمـاءِ زَرْقـاءِ[١]

فَـقُـلْـتُ هـذا الـبَـدْرُ فـي لُـجَّـةٍ أم ذا خَـيـالُ الـشَّـمـسِ فـي الـمـاءِ

وكان والده من جملة البانيان الواصلين إلى صنعاء، فأسلم على يد بعض آل الإمام وحَسُن إسلامه. ونشأ ولده هذا مشغوفاً بالأدب مُولعاً بعالي الرتب. وأكثر مدائحه في الإمام المهدي أحمد بن الحَسن بن القاسِم بن مُحمَّد. ومدح الإمام المتوكل إسماعيل بن القاسِم، وابنه عليّ بن المتوكل، ومُحمَّد بن الحسن. ولمَّا صارت الخلافة إلى المهدي صاحب المواهب، وفد إليه صاحب الترجمة وقد كان بلغه عنه شيء فقال له: بأي شفيع جئت، فقال له: بهذا، وأخرج المصحف من صدره، فقال: قد قبلنا هذا الشفيعَ، ولكن لا أراك بعد اليوم. فتغيَّب عنه من ذلك اليوم، ولازم العبادة والتزهد. وكان إذا قام إلى الصلاة اصفرَّ لونه. وحجَّ، ومات عقب عوده في سنة ١١٠٠ مائة وألف أو في التي قبلها[٢].

١٠

(السيد إبراهيم بن عبدالقَادر بن أحمد بن عبدالقَادر ابن الناصِر بن عبدالرَّبّ بن عليّ بن شَمْس الدين ابن الإمام شرف الدين العلَّامة ابن شيخنا الإمام)[٣]

الآتي ذكره إن شاء اللَّه تعالى. ولد في ليلة ثامن عشر رمضان سنة ١١٦٩ تسع وستين ومائة وألف، وتخرَّج بشيخنا والده رحمه اللَّه في النحو والصرف والمنطقَ والمعاني والبيان والأصول والعروض واللغة والحديث والتفسير، وبرع في جميع هذه المعارف، وصار الآن من أعيان علماء العصر المفيدين المجيدين. ارتحل مع والده من (كوكبان)[٤] إلى مدينة (صنعاء) وما زال مُكبّاً على القراءة على والده، ورافقني في

(١) عاينتهُ: شاهدته. اللُّجَّةُ: مُعظمُ الماء، وتَردُّد أمواجه.

(٢) من مؤلفاته: «براهين الاحتجاج والمناظرة فيما وقع بين القوس والبندق من المفاخرة» (معجم المؤلفين: ١/ ٤٠).

(٣) ترجمته في: معجم المؤلفين: ١/ ٥٠.

(٤) كَوْكَبَان: جبل قرب صنعاء، وإليه يضاف: شِبام كوكبان، وقصر كوكبان. وقيل: سُمِّي كوكبان، لأن قصره كان مبنيّاً بالفضة والحجارة، وداخله بالياقوت والجوهر، فكان يلمع بالليل كما يلمع الكوكب. (معجم البلدان: ٤/ ٤٩٤).